العلم والحياة الجنسية

مناظرة علمية اجتماعية

[هذه المقالة ملخص مقالتين نشرتا في مجلة السينتفك اميركان المعروفة عند قراء المقتطف بمقامها ورزانتها . وقد كتب محررها في تقديمها ما مؤداه : هذه مجلة علمية وموضوع البحث موضوع علمي تتناوله في الحين بعد الحين من دون تردد . فالمقال الاول للدكتور بارتلي الاستاذ في علم الحيوان ومؤلف كتاب : (علم التناسل الانساني — نواحي الجنس البيولوجية) وهو يحسب بين العلماء ثقة في موضوع تناسل الاحياء . ويتناول في مقاله موضوعاً خاصاً تدور حوله الاحاديث وقلما تكتب عنه كتابة علمية . اما المقال الثاني فللدكتور اغناطيوس كوكس وهو قسٌّ واستاذ لادب النفس في جامعة فوردهام الاميركية . وفي تقديم السينتفك اميركان شيء عن اوّل تقديم آخر من قبلنا]

— ١ —

لست أعرف موضوعاً أوثق صلة بحياة الانسان الخاصة من موضوع العلاقة الجنسية، ولا اهابة اصعب من الاجابة عن السؤال الذي وجههُ اليَّ محرر هذه المجلة وهو : هل الاتصال الجنسي ضرورة فسيولوجية ؟ فهو سؤال ، لا بدَّ ان يجيب عنهُ ، كلٌّ على منواله الخاص . لانهُ لا يحق لانسان ، كائناً ما كان — طبيباً او قسيساً او عالماً بالحياة او شرطيًّا يحافظ على الامن العام والآداب العامة — ان يملي رأيه على غيره في هذا الموضوع . لذلك كان الشعور الاول الذي احسستُ بهِ عند توجيه السؤال اليَّ ، ان اعتذر ، أو أن اعالج الموضوع ، من ناحية الحيوانات الدنيا دون غيرها . قلت لنفسي كيف يستطيع انسان ان يجيب عن هذا السؤال ، الخاص بحياة كل انسان الخاصة ، وهو في موضوع تضاربت فيهِ الآراء ، ولم نظفر بعد ، بالحقائق الوافية التي تمكننا من الحكم فيهِ حكماً فاصلاً . ولكن هذه الاعتراضات ، زالت قوتها لما تبيَّن لي ، اننا نستطيع اليوم أن نعالج هذا الموضوع معالجة مجردة من ناحية ما يقضي بهِ العقل ، لا من ناحية ما يلابسهُ من الخرافات والاوهام . ثم اننا لاول مرة في تاريخ الحضارة ، نملك الآن من الحقائق البيولوجية ما يمكننا من وزن الموضوع في ميزان علمي ، لا نقول انهُ الميزان النهائي ، وانما هو على الاقل السبيل الى حكم مستنير

فلننظر اولاً في الحقائق البيولوجية التي يقوم عليها البحث في هذا الموضوع الخطير

***

ان جسم الانسان ، بحكم مكانهِ في عالم الحيوان ، مجهز بوسائل التناسل واخلاف النسل . أي ان النوع الانساني مؤلف من جنسين او شقين يتمم احدهما الآخر ، هما الذكر والانثى . والبناء الفسيولوجي والنفسي ، في هذين الشقين ، يجعل عمل الشقين معاً ، عملاً لا بدَّ منهُ لاخلاف النسل

وحفظ كيان النوع . ففي الانساني بشقيه ، كما في جسم الحيوانات الثديية ، أجهزة عصبية وعضلية وغددية ، دقيقة التركيب مرهفة الحس ، تشترك جميعاً في هذا العمل الخطير . ومن السهل على من يدرس التشريح والفسيولوجيا من ناحية المقابلة أن يبين ، كيف يقابل كل جزء من هذه الاجهزة في جسم الانسان ، جزءاً مثله في اجسام الثديات العليا ، ولكننا لسنا بحاجة الى هذه المقابلة ، لان كل من له المام بالموضوع لا ينكر هذه الحقيقة

غير أنّ ما يهمنا بوجه خاص هو مسألة السلوك والتصرف . لانهُ اذا سلمنا بأن اجهزتنا التناسلية ، شبيهة بأجهزة الثديات ، فهل تصرفنا او سلوكنا التناسلي ، شبيه بتصرفهم او سلوكهم ؟ الانسان يختلف عن سائر الثديات ، في انهُ لا يعتمد طوال حياته على فعل الغرائز ، بل هو يثقف عقله بالتعليم ويحيط حياته بألوان المؤثرات الثقافية . ولكن مع ذلك لا ينكر عالم فسيولوجي ، ان تصرفنا التناسلي لا يختلف في قليل ولا كثير عن تصرفها هي ، وهذا مما لا يعرف بوجه عام ، وان هو عرف فقد تتنكر لهُ التقاليد الاجتماعية

العوامل الحيوية التي تؤثر في تصرف الحيوان — ومنهُ الانسان — هي عوامل الجوع والجنس والخوف ، أو هي بكلمات اخرى ، الحاجة الى الطعام ، والمزاوجة ، والحماية . فالحيوان من دون الطعام ، يموت . ومن دون المزاوجة ينقرض . ومن دون الحماية لا يجد سبيلاً الى اكتفاء الباعثين الاولين . فهذه البواعث هي قوى تدفع بالحيوان الى تحقيقها ، لانها اساس الحياة ، ولا حياة له من دونها . وكذلك نرى ان الدافع الجنسي ، في النوع البشري ، كما هو في غيره دافع قوي ، ويستحيل قمعهُ او كبته في انسان سوي . واذكر ايها القارىء ، ان هذه القوة المكتسحة ، ليست غريزة غرضها التناسل ، او رغبة في الاولاد والنسل ، بل هي الرغبة في المزاوجة ، ليس الاّ ، لان الحيوان اذا احسّ بهذه الرغبة لا يفكر في حفظ النوع ولا في النسل . وهذه الناحية من الموضوع نسلم بها حالاً ، اذا نظرنا الى الحقائق المشاهدة ، وصرفنا النظر عن التقاليد ، ولا بد من ان نحسب لها حساباً في كل نظر معقول الى الموضوع

ان البحث الحديث في الحيوانات الثديية يبين بوجه عام ، ان الباعث الجنسي او المحرّض التناسلي ، يتخذ شكلين ، هما بحسب ما دعاهما بريفو Briffault الباعث التناسلي ، والباعث التزاوجي . ففي اكثر الحيوانات لا نرى اثراً للباعث الثاني ويقصد به ادمان ذكر واحد لانثى واحدة مدة طويلة . اما الباعث التناسلي الذي يظهر في المزاوجة بين ذكر وانثى ، ينفصلان بعدها ، فهو القوة الطبيعية العامة التي اشرنا اليها . فبعد ان يكمن هذا الباعث ينفصل الذكر عن الانثى ، حتى يحين فصل المزاوجة التالي ويشتدّ هذا الباعث من جديد . واذاً فالاسرة بين الحيوانات تتألف من الام واولادها . ومدى أسرة من هذا القبيل ليس طويلاً لان الاولاد ، لا يلبثون حتى يشتدّ ساعدهم ويروح الذكر يبحث عما يكفي الباعث التناسلي فيهِ ، والانثى كذلك

أما في رتبة الرئيسات (البريمات) — أي القردة والانسان — فتختلف العلاقات بين الذكر والانثى عنها في الحيوانات التي دون ذلك في سلم التطور . ذلك ان الصلة بين الذكر والانثى في حيوانات هذه الرتبة ، تتسم بسمة من الاستقرار الى حد ما . وتعليل ذلك بسيط ، ذلك ان الحيوان في ارتقائه اضاف الى الباعث التناسلي الباعث التزاوجي ، من دون ان يضعف الثاني ، الاول

وصحيح ان الانثى في حيوانات هذه الرتبة ، تحتاج الى حماية الذكر مدة اطول من مدة الحماية التي تحتاج اليها الانثى في الحيوانات التي دون ذلك ، لان مدة الحمل اطول ، وكذلك مدة الطفولة . ولكن من الخطإ ان نحسب ، ان استقرار صلة الذكر بالانثى ، الناشىء عن هذه الحقائق البيولوجية سببه نوع من الغيرية او المحبة الوالدية . والذي يربط الذكر بأنثاه في هذه الرتبة انما هو استعداد الانثى للتزاوج في جميع الاوقات بوجه عام . ففي الحيوانات الدنيا ، لا تكون الانثى مستعدة للتزاوج إلاّ في فصول معينة وأما في حيوانات هذه الرتبة فاستعدادها لذلك يكاد يكون دائماً

وكذلك نرى ان الباعث الثاني ، من باعثي « ربغو » أي الباعث التزاوجي انما هو وسيلة اخترعتها الطبيعة لاكفاء الباعث الاول ، بطريقة مستقرة . وهو قائم كما تقدم على خاصة فسيولوجية في الانثى ، ويظهر في مظهر تعدد الاناث التي يتخذها الذكر لنفسه ، ويدفع عنها رغائب ذكر غيره ، ما استطاع الى ذلك سبيلا . والاقتناع بزوجة واحدة او اتخاذ اكثر من زوجة ، لا علاقة له بالبيولوجيا ، لانه يقوم على عوامل اجتماعية واقتصادية كالحرب والطعام والتوزيع الجغرافي وغير ذلك . والاسرة التي من هذا القبيل كائنة بين طوائف من القردة ، كما درسها زوكرمان ، وفي النوع الانساني . بل ان هذه الاسرة ، هي الخطوة التي تقدمت نشوء الاسرة الانسانية بمعناها المعروف ، التي تبدو فيها الظاهرات الانسانية ، كالحب الابوي ، والحب العائلي ، والمحبة الخيالية ، واشكال الزواج على اختلافها

وقبل ان نترك موضع العلاقات الجنسية في الحيوانات التي دون الانسان ، يجب ان نذكر ، ان مظاهر الباعث التناسلي في الانسان ، هي هي في القردة ، الاّ قليلاً منها ، لا محل للتبسط فيه هنا . بل ان العالم ملر ، قد أثبت وجود الشواذ التي تتصف بها العلاقة الجنسية الانسانية في القردة

واذن يتضح ، ان جهاز الانسان التناسلي ، وتصرفه او سلوكه التناسلي كذلك لهما أساس بيولوجي قديم يمكن الارتداد به الى الحيوانات التي دونه ، فالحيوانات التي دونها في سلم التطور . وعليه لا يمكن ان تنظر في هذا الموضوع ، على انهُ موضوع خاص بالانسان دون غيره من الحيوانات اذا شئت ان تنظر الى الموضوع نظراً علميًّا

فاذا التفتنا الآن الى موضوع مظاهر الباعث او الحرض الجنسي في الحضارة الغربية يجب ان نذكر ، ان الانسان ليس مخلوقاً قائماً بذاته ، منفصلاً عن سائر الاحياء ، ومجرداً من القوى العنيفة التي تدفع تلك الاحياء الى عمل ما تعمل . وليس للانسان مصدر وحي لا يخطىء ، يقول له ما يجب ان يفعل ، او كيف يفعله ، بل على الضد من ذلك أن تصرف الانسان في هذه الناحية ، سببه قوى بيولوجية

يشترك فيها مع الحيوانات الاخرى حتى في التفصيلات ، واغفاء النظر عن هذه الحقائق أفضى الى اقامة الحواجز والقيود بدون هذا الفعل الطبيعي ، وقد بلغت هذه الحواجز والقيود أشدها واعلاها في أوائل القرن الماضي ثم بدأت تنهار وتتحل بتقدم العلم وانتشاره

بعد كل ما تقدم نستطيع الآن ان نعود الى السؤال الاول فنحاول الاجابة عنه اجابة ترضى عنها الحقائق العلمية . كل الرجال والنساء ، الاّ القلائل الذين ليسوا أسوياء الاجسام ، يحتاجون الى التنفيس او الاعراب عن الباعث التناسلي كضرورة فسيولوجية . وليس ثمة أي جواب آخر ، يمكن ان نجيب به ، اذا اعتبرنا حقائق التشريح والفسيولوجيا ، وطبيعة الانسان البيولوجية . ولا ريب في ان هذا التنفيس او الاعراب ، ليس بضرورة — لايستغنى عنها عاجلاً — لاجل حفظ الكيان الانساني ، كضرورة الطعام وحماية الجسم من أعدائه الخفية والظاهرة . ولكن لما كان الباعث الجنسي ، ذا شأن عظيم في فعل التطور ، ومتصلاً اتصالاً عميقاً بفسيولوجية الجسم وسيكولوجيته ، فتمعه او كبته ، قمعاً او كبتاً مطلقاً متعذر ، ومحاولة قمعه او كبته مدة طويلة ، قد يفضي الى ضرر فسيولوجي او اضطراب سيكولوجي

أنا أعلم ان هذا القول قد يجد من يعترض عليه ويتحداه ، لانه ليس القول الذي تعودنا سماعه من الذين اتخذوا « ادب النفس » نبراساً لهم في الحياة ، ولكنني اعتقد انه يعرب عن الحقيقة — الحقيقة كما أثبتها البحث العلمي الحديث ، وكما تؤيدها الخبرة الانسانية على مدى العصور

ان التقاليد الاجتماعية والادبية الباسطة ظلها على اجتماعنا ، وتقضي على طوائف من الناس بالحرمان الطويل تناقض الاعتبارات العلمية التي بسطناها في هذا المقال ، وتقيم في وجوهنا مشكلة اجتماعية خطيرة . ولا أريد ان اتناول هنا بعض الجامعات التي يختار أفرادها رجالاً ونساء ، ان يكبتوا الباعث الجنسي فيهم بارادتهم . ولكننا اذا نظرنا الى الذين تعدوا سن المراهقة ممن عدا تلك الجامعات الخاصة ، وجدنا طائفة كبيرة من الذكور والاناث الاصحاء الذين لا يستطيعون الزواج لسبب من اسباب كثيرة متعددة ، ولسنا نرى في غير التسليم بالرأي الذي يقضي به العلم مخرجاً لهم من مأزقهم . اذ ذاك تصبح العلاقة الجنسية — في ما خلا الاولاد — علاقة خاصة كلّ الخاصة

— ٢ —

حكم الاستاذ برشلي في مقاله المذكور بأن « كل الرجال والنساء ، الاّ القلائل الذين ليسوا اسوياء الاجسام ، يحتاجون الى التنفيس او الاعراب عن الباعث التناسلي كضرورة فسيولوجية ، وليس ثمة اي جواب آخر يمكن ان نجيب به اذا اعتبرنا حقائق التشريح والفسيولوجيا وطبيعة الانسان البيولوجية ، ولا ريب ان هذا التنفيس او الاعراب ، ليس ضرورة عاجلة لاجل حفظ الكيان الانساني كضرورة الطعام وحماية الجسم من اعدائه الخفية والظاهرة ، ولكن لما كان الباعث الجنسي ، ذا شأن عظيم في فعل التطور ومتصلاً اتصالاً عميقاً بفسيولوجية الجسم وسيكولوجيته ،

فقمعه او كبته ، قمعاً او كبتاً مطلقاً متعذر ، ومحاولة قمعه او كبته مدة طويلة قد يفضي الى ضرر فسيولوجي او اضطراب سيكولوجي »

وقد بعث الدكتور كوكس بالاسئلة الى الاطباء البيولوجيين وعلماء النفس وأطباء العقل يستطلع آراءهم في الموضوع . ثم عمد هو ومعاونوه الى الكتب التي تعالجه يستنطقها ، والنتيجة التي وصل اليها ، مع ان الردود جميعها لم تصله حين كتابة مقاله ، هي ان معتقدات الاستاذ بارشلي ليست قائمة على العلم وان محاولته التوحيد بين هذه المعتقدات والعلم ، عمل صبياني او على الاقل غير علمي

***

حاول الاستاذ بارشلي ان يبين الشبه بين الحياة التناسلية في الحيوانات الثديية العليا وفي الانسان وعلى هذا الشبه بنى كثيراً من ادلته . ولكن القس كوكس عمد الى كتاب حديث اشترك في تأليفه جماعة من النفات بعد ما بحثوا عشر سنين بحثاً دقيقاً في موضوع « الجنس والغدد الصم » وفيه يقول احد المؤلفين ان البحث في مقابلة حياة الانسان التناسلية بحياة الحيوان الثديي ، تحتاج الى دقة عظيمة في تحديد التجارب والسيطرة عليها حتى لا يتسرب اليها الخطأ لكثرة الفروق في بناء الاجسام والبيئة المحيطة بالفريقين ولقلة الحقائق المعروفة عن فعل التناسل نفسه في الانسان »

ثم يقول الدكتور كوكس : ومما يدل على ان الدكتور بارشلي لم يعن بجميع نواحي الموضوع قبل اخراج حكمه المشار اليه انهُ ناقض نفسه بنفسه ، ومهما تتعدد وجوه الشبه بين حياة الثديات التناسلية ، وحياة الانسان التناسلية ، فلا ريب ان هناك فرقاً طبيعيًّا يقتضي التفكير ، وهو ان حياة الثديات التناسلية ، ليست خاضعة لسيطرة الارادة الحرة . اما حياة الانسان التناسلية فخاضعة لهذه السيطرة وحتى الاستاذ بارشلي نفسه لا ينكر ان الاعراب عن الباعث الجنسي خاضع بعض الخضوع للارادة . وانما هو يذهب الى ان اخضاع هذا الباحث اخضاعاً كاملاً (اي قمعه) للارادة الحرة يفضي الى اضرار فسيولوجية وسيكولوجية . بيد ان الطبيعة لا تخلق شيئاً سدى أو على غير هدى او لغير غرض . فهي لم تخضع دورة الدم وفعل القلب لارادة الانسان الحرة . فاذا هي اخضعت الفعل التناسلي لسيطرة الارادة الحرة ، فانما هي تقصد ان يتم الاعراب الجنسي بارشاد الارادة مستنيرة بالعقل . وهنا موضع التناقض في حجة الاستاذ بارشلي . فهو آنفاً يقول ان الانسان تحيط به عوامل ثقافية متنوعة فيتأثر بها ويتحول طبقاً لفعلها ، وهذه العوامل تتوقف على الذكاء والعقل . وفي جملة ثانية يقول بوجوب الغاء العقل في الحياة التناسلية ، وتنسيق تلك الحياة على مثال الحياة التناسلية في الحيوانات التي لم يبلغ فيها العقل ما بلغه في الانسان من درجات الارتقاء

والغرض الاولي الذي رمت اليه الطبيعة ، من اخضاع الفعل التناسلي للارادة الحرة ، هو ان يستعمل ارادته ، في تدريب الباعث التناسلي وتنظيم فعله ، فيوفق بذلك بين التيارات النفسية المتعارضة . فتقصير الاستاذ بارشلي ، في اقامة وزن ما ، لمآرب الطبيعة في اخضاع الفعل الجنسي

للارادة ، حالة انها لم تفعل ذلك في الحيوان ، يزيل كل اساس لوجه الشبه ، الذي بينه وبين حياة الحيوان التناسلية وحياة الانسان

***

هذا شيء من الناحية البيولوجية . فالعلم في رأي الدكتور كوكس لا يؤيد وجهة النظر التي اوردها الدكتور بارشلي . فلننظر الى الموضوع من الناحيتين الفسيولوجية والسيكولوجية . يقول الدكتور بارشلي « ان الفعل الجنسي متصل اتصالاً عميقاً بفسيولوجية الجسم وسيكولوجيته ، فتمنعه او كبته تماماً او كبتاً مطلقاً متعذر ، ومحاولة قمعه او كبته مدة طويلة قد يفضي الى ضرر فسيولوجي او اضطراب سيكولوجي »

أما الدكتور اوثرجا كوبسن وهو عالم ومحرر لمجلة التيمس الطبية — « مديكال تيمس » — فقد ردَّ على سؤال وجهه اليه الدكتور كوكس في هذا الصدد بما يأتي : « أنا واثق بأن كبار الثقات في هذا الميدان يترددون في الحكم او التحكم في موضوع هل الحرمان الجنسي مضر ؟ اننا اذا راجعنا كتاب كلبن في موضوع التقدم الحديث في الامراض العصبية السيكولوجية وجدنا اشارة الى فرويد فيقول انه قبل ان نستطيع ان نسند حالة عصبية ما الى الباعث الجنسي ، يجب ان نتأكد ان الحالة العصبية نفسها ليست معقدة ، لانها اذا كانت معقدة ، فأسبابها تكون متعددة ولا يمكن الجزم بأن الباعث الجنسي هو وحده سببها ، فاذا أضفت الى ذلك قول ستيكل — وهو ثقة في هذا الموضوع — ان الحالات العصبية النفسية لا تكون الا معقدة ، فهمنا ان الحكم في اسناد احدى هذه الحالات الى بواعث جنسية فيه شيء كثير من التحكم

اما الاستاذ توماس ريانت ، وهو من جراحي بريطانيا الكبار ، ومؤلف كتاب « الجراحة » فيقول : ان الطالب يجب ان يتذكر ان وظيفة الخصية ، كوظيفة الثدي والرحم قد تتوقف عن العمل مدة طويلة ، او مدى الحياة ، ولكن بناءها الحيوي يبقى سليماً ، فتقوم بوظيفتها قياماً طبيعياً اذا اثيرت اثارة صحية . وهي تختلف عن سائر الغدد في انها لا تضعف ولا تحول بقلة الاستعمال

ثم ان الدكتور هنتر مؤلف كتاب « الاضطرابات في الوظيفة التناسلية » يقول بصفحة ٢٦٢ ان « العفة لا تضعف الصحة ، لا من الناحية الفسيولوجية ولا من الناحية السيكولوجية » ذلك « ان اعضاء التناسل مبنية بناء يختلف عن بناء الاعضاء الاخرى في الجسم ، فهي مبنية لكي تقوم بوظائفها في فترات متقطعة ، وقد تتوقف عن عملها توقفاً لا حدَّ له ، من دون ان ينالها ضرر ، في تشريحها (اي بنائها) او فسيولوجيتها (اي قيامها بوظائفها)

ويقول الدكتور جيمس فشر سكوت في كتابه « الغريزة الجنسية » : — « ومن فكرة خاطئة بأن القيام بالفعل الجنسي ضروري للاحتفاظ بالصحة » ثم يقول « ان الفسيولوجيا التي تعلم ان استعمال الاعضاء التناسلية ضروري للاحتفاظ بالنشاط العقلي والفسيولوجي لهي فسيولوجيا خبيثة ونسف

علمية » . ويقول الدكتور ليونل بيل الاستاذ بكلية الملك في لندن ، في كتاب له موضوعه « ادب والمسألة الادبية من الناحية الطبية خاصة » ما يأتي :

ان القول بأنهُ اذا لم يكن الزواج ، فلا بد،لاسباب فسيولوجية،من شيء يحل محله،قولٌ خاطىء ولا اساس له . ولا استطيع ان ابالغ في القول بأن اتم درجات الاعتدال والعفة ، تتفق والنواميس الفسيولوجية والشرائع الادبية في آن واحد ، وان الاستسلام للشهوة لا يمكن تسويغه بالنواميس الفسيولوجية كما لا يمكن تسويغهُ بالشرائع الادبية » . ويقول السر جيمس بايجت ، وهو جراح بريطاني كبير« ان العفة لا تضر بالجسم ولا بالعقل ... والزواج يمكن ان يتأخر من دون اي ضرر»

ثم يقول الدكتور كوكس ، ان احد المؤلفين الذين اعتمد عليهم الدكتور بارشلي نفسه يقول القول الآتي : « ورغماً من هذا يؤكد بعضهم ان العفة قبل الزواج ، نوع من التقليد او النرض الادبي ، وانها مخالفة لحقائق العلم ومقتضياته ، وانهُ يجب ان تلغى من المجتمع . وهؤلاء الذين يقولون هذا القول ، يبنون موقفهم على قراءة ما قيل عن مذهب فرويد . انهم قد تغاضوا عن الحقائق الاساسية .... فاذا اردنا ان نقول في الموضوع كلمة بسيطة ، قلنا ان الاضطرابات العقلية والعصبية ، الناشئة عن الحرمان الجنسي ، لا يمكن أن تشفى بالوسائل ... »

وفي سنة ١٩٠٢ اجتمع مؤتمر دولي في بروكسل من الاطباء والعلماء للبحث في هذا الموضوع فأصدر بياناً وقعهُ ١٥٩ طبيباً ومما قالوه فيهِ : « ان الشبان يجب ان يتعلموا ان العفة لا تضر ، بل ان ممارستها اقوى حصن للصحة » ويؤيد ذلك اثنان من اساتذة باريس يدعى احدهما فيريه Féré والآخر هنسار Hensard في كتب لهما مطبوعة ومنشورة . وقد اورد الدكتور كوكس من هذا القبيل أقوال علماء وأطباء كثيرين ثم قال : «واني لاعجب كيف يستطيع الاستاذ بارشلي بعد كل هذا ان يدعي ان كل العلماء الذين يحق لهم الحكم في هذا الموضوع سواء أكانت آراؤهم هي الآراء التي يبدونها في اجتماعاتهم الخاصة او في كتبهم ورسائلهم المطبوعة يؤيدون النتائج التي وصل اليها هو ثم ختم مقاله بقوله ، انه حاول ان يردَّ على الاستاذ بارشلي ، في الميدان الذي اختاره لبحثه أي الميدان العلمي ، فأثبت ان رأي العلم في الموضوع ليس كما يقول ، وانه اجتنب البحث في الموضوع من ناحية الفلسفة الادبية ، ومن ناحية تعاليم المسيح ، معتمداً على أقوال علماء ثقات ، ليس بينهم كاثوليكي واحد ،حتى يمكن ان يتهم بأن عقيدته الكاثوليكية لونت تفكيره في هذا الموضوع ، وان الانسانية في خلال سيرها الطويل من أيام الهمجية الاولى ، الى القرن العشرين ، قد أثبتت بالتجربة والامتحان ، ان التقاليد الخاصة بالعفة والزواج وما اليهما ، هي خير الوسائل للاعراب عن الباعث الجنسي،وقد قبلتها ، لا لانها كانت وحياً هبط عليها من السماء،بل لان فائدتها ثبتت لها بالتجربة ، ولولا ذلك لما ثبتت على كرّ القرون . والنتائج التي وصل اليها الاستاذ بارشلي ، اذا سار بها الشبان والشابات الى نهايتها المنطقية ، اي اذا نفذوها أضرت بهم ضرراً حسيًّا ونفسيًّا ، وبالمجتمع كذلك